الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

العدد السادس عشر 16
سبتمبر 2020

وصف القبائل السكانية في الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر كما ورد في كتابات اليونان والرومان خلال المدة (250ق.م - 300م).

أ.م.د. أحمد صالح العبادي*

dr.ahmad2012@tu.edu.ye

ملخص:

تناول هذا البحث وصف القبائل السكانية في الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر، كما ورد في كتابات اليونان والرومان، خلال المدة (250ق.م - 300م)، الذين اعتمدوا في وصفهم وتصنيفهم لتلك القبائل، على الطعام الأساسي الذي كانت تعتمد عليه كل قبيلة في حياتها المعيشية اليومية، أو الأساليب التي اتبعتها تلك القبائل في الحصول على الغذاء، أو الحِرَف والأعمال التي مارستها تلك القبائل، وقد تم تقسيم البحث إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، هي: اهتمام الكتاب اليونان والرومان بالبحر الأحمر، وصف القبائل الساكنة في الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر كما ورد في كتابات اليونان والرومان، بعض العادات والتقاليد التي وردت في كتابات اليونان والرومان عن سكان الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر، اشتغال سكان الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر بالتجارة من خلال كتابات اليونان والرومان، وتوصل البحث إلى عدد من النتائج، أبرزها: أن القبائل السكانية في الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر، لم تكن أسماء محددة تطلق عليها، وإنما وصفها اليونان والرومان على أساس الغذاء الأساسي الذي كانت تعتمد عليه تلك القبائل ونمط حياتها المعيشية، والحروف والأعمال التي كانت تمارسها، وعاداتها وتقاليدها.

الكلمات المفتاحية: وصف القبائل؛ الساحل الجنوبي؛ البحر الأحمر؛ كتابات اليونان والرومان.

* أستاذ التاريخ القديم المشارك - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة ذمار - الجمهورية اليمنية.

الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

Describing the Population Tribes on the Southwestern Coast of the Red Sea as Mentioned in the Writings of Greece and the Romans during the Period (250 BC - 300 AD)

Dr. Ahmed Saleh Al-Abbadi*

dr.ahmad2012@tu.edu.ye

Abstract:

This research aims at describing the tribes inhabiting on the southwest coast of the Red Sea as it was mentioned in the writings of the Greeks and Romans, during the period (250 BC - 300 AD). They depended in their description and classification of these tribes on the basic food that each tribe relied on in its daily life or the methods used by those tribes in obtaining food, or the trades and jobs practiced by those tribes. The research is divided into: an introduction and four sections; the Greek and Roman writers' interest in the Red Sea, the description of the inhabitants lived in the southwestern coast of the Red Sea as it was mentioned by the Greek and Roman writers, some customs and traditions of the inhabitants there and the inhabitants work in trades. The research has stated a number of results notably: the tribes of the population on the southwestern coast of the Red Sea did not have specific names, but rather described by the Greeks and Romans depending on the basic of food these tribes relied on, their way of life, and the trades and jobs, and its customs and traditions.

Key Words: Description of Tribes, South Coast, The Red Sea; The writings of Greece and the Romans.

* Associate Professor of Old History, Department of History, Faculty of Arts, Thamar University, Republic of Yemen.

المقدمة:

شهد البحر الأحمر منذ النصف الثاني للألف الأول قبل الميلاد نشاطًا ملاحيًا وتجاريًا واسعًا، لا سيما بعد اكتشاف أسرار هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية (على يد هيبالوس) حوالي عام (45 ق.م)، التي كانت حكرًا بيد العرب في جنوب شبه الجزيرة العربية، وترتب على ذلك ازدهار سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية، وبرز على الساحل العربي عدد من المدن وأسواق المدن والموانئ التجارية.

كما بذل البطالمة في مصر جهودا كبيرة في سبيل كشف الساحل الغربي للبحر الأحمر، ومن ثم إقامة عدد من المدن والمراكز التجارية على امتداد الساحل ذاته، وبخاصة الجنوب الغربي منه؛ وذلك بهدف منافسه عرب الحجاز وجنوب الجزيرة العربية في تجارة الشرق الأقصى، وكسر احتكار عرب جنوب الجزيرة لتجارة الطيوب ونفائس السلع والبضائع الشرقية التي يحتاجها البطالمة في مصر ويطلبها العالم الغربي بشدة، ومن ناحية أخرى الإفادة من بعض تلك المدن لتكون مراكز تجلب إليها الفيلة من داخل إفريقيا، والتي كانت لازمة لحروب البطالمة ضد خصومهم، ولتكون تلك المدن أسواقا للمنتجات الإفريقية من البخور والذهب وقرون وحيد القرن وريش النعام والأعشاب الطبية وغير ذلك.

ونجم، عن ذلك النشاط الكشفي والتجاري للبطالمة في الساحل الغربي للبحر الأحمر، حصول الكتّاب اليونان والرومان على معارف واسعة ومتباينة عن إفريقيا وبخاصة سكان الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر.

ومما لفت انتباه الباحث الوصفُ والتصنيفُ اللذان اتبعهما الكتّاب اليونان والرومان في تصنيفهم لسكان الساحل الغربي للبحر الأحمر، ومن ضمنه الساحل الجنوبي الغربي ذاته، من حيث الأسماء التي أطلقوها على المجاميع القبلية، وأنماط معيشتهم، وصنوف الغذاء الذي اعتمدوا عليه في حياتهم اليومية، وعاداتهم وتقاليدهم وأعمالهم، فرأى الباحث أن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة مستقلة بذاتها، وذلك من خلال كتابات اليونان والرومان، وبخاصة لدى

إيراتوسثنيس (Eratosthenes) وأرثميدوروس (Arthemidorus) التي وردت لدى سترابو (Strabo)، وصاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري، وهو مؤلف أو تاجر يوناني مجهول، وبعض الدراسات ذات الصلة بالموضوع، وقد حدد الباحث مدة بحثه بالمدة (250ق.م - 300م)، وهي المدة التي عاش فيها الكتاب اليونان والرومان، الذين اعتمد الباحث على كتاباتهم، في هذا البحث، ولكن ذلك لا يعني أن الوصف والتصنيف اللذين أوردهما الكتّاب اليونان والرومان عن الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر محصور بهذه المدة.

اهتمام الكتّاب اليونان والرومان بالبحر الأحمر:

تمكن الإسكندر الأكبر المقدوني (356. 323 ق.م)، من تقويض دعائم الإمبراطورية الفارسية وانتزاع سوريا ومصر منها، عام (331) ق.م، ثم طرد جيوش الملك درا الثالث شرقا، واستولى على بلاد الرافدين، ودخل الأراضي الفارسية، وسيطر على العاصمة الفارسية، وقضى على إمبراطورية الفرس تمامًا[1].

وتذكر المصادر اليونانية والرومانية أن العرب هم الوحيدون الذين لم يرسلوا مبعوثهم إلى الإسكندر لتهنئته بانتصاراته ومبايعته على الطاعة، بل إنهم تحدوا الإسكندر الأكبر ورفضوا الإذعان له؛ مما جعل الإسكندر يثور ويغضب ويتوعدهم بالغزو[2].

وكان الإسكندر الأكبر قد سمع عن ثراء بلاد العرب وإنتاجها للبخور وحاصلاتها الثمينة وسواحلها ومساحتها التي لا تقل عن مساحة الهند، فضلا عن الجزر المتعددة المحيطة ببلاد العرب، والمرافئ الكثيرة المنتشرة على سواحلها التي تصلح لأن تكون مراسي آمنة لأسطوله الكبير، فبادر الإسكندر بإرسال الحملات الاستطلاعية لجلب المعلومات اللازمة للسيطرة على بلاد العرب بحرًا، ولكنه توفي عام (323ق.م) قبل أن يحقق مشروعه[3].

وبموت الإسكندر الأكبر تدهورت إمبراطوريته بنفس السرعة التي بناها، وحول جسده المسجّى تنازع كبراء ضباطه على التركة، ودارت بينهم حروب مريرة انتهت بقيام ثلاث ممالك

هيلينستية، هي: مملكة البطالمة في مصر، ومملكة السلوقيين في سوريا وآسيا الصغرى وكل الأجزاء التي كانت تسيطر عليها الإمبراطورية الفارسية قبل سقوطها، ثم مملكة آل إنتيجونس في مقدونيا وبلاد اليونان[4].

وكان البطالمة أنشط من السلوقيين في مجال الاشتغال بالتجارة البحرية الجنوبية والاستفادة من البحر، إذ وجهوا أنظارهم نحو البحار الجنوبية وخاصة البحر الأحمر[5]، فقام بطليموس الأول- سوتر- soter (305. 283 ق.م) بإرسال قائد أسطوله، واسمه فيلون، في رحلة لاستكشاف مجاهل البحر الأحمر والتعرف على مواطن شعوبه وثرواته، ويبدو أن هذا القائد وصل بالفعل إلى سواحل إفريقيا الشرقية[6].

وعلى الرغم من أن بطليموس (سوتر) كان حربي النشأة، فإنه قد أحاط نفسه -كما فعل الإسكندر من قبل- بالعلماء والأدباء، وراسل الفلاسفة بجميع بلاد اليونان، واشترك معهم في محاورتهم ومبادراتهم، وكان ببلاطه نخبة من العلماء والأدباء المتخصصون في شتى العلوم[7].

وتم إنشاء مكتبة الإسكندرية بين عامي (290 - 300 ق.م)، وتأسيس أكاديمية الإسكندرية بين عامي (290 . 284ق.م)، في عهد بطليموس الأول (سوتر)، وقد بلغتا (أي: المكتبة والأكاديمية) ذروة عظمتهما في عهد بطليموس الثاني فيلادلفوس (246 - 285 ق.م)[8].

وكانت الأكاديمية منتدى للعلماء يجتمعون فيه للبحث والمناظرة؛ خدمة للعلم، وكان العلماء أحرارًا في بحوثهم، وكفل لهم ملوك البطالمة، الاستقرار والحرية فأوقفوا عليهم الأموال، وأسكنوهم في قصورهم، وقربوهم منهم وجمعوهم حولهم[9].

كما قام البطالمة بإرسال العديد من البعثات الاستكشافية البحرية، لكشف سواحل البحر الأحمر، الغربية والشرقية، من خليج العقبة شمالا حتى باب المندب جنوبًا، وعملوا على تشجيع دوائر الإسكندرية العلمية والعاملين في حقلي الكشف الجغرافي والتجارة البحرية؛ لفتح الطريق الملاحي المباشر إلى الهند أمام السفن البطلمية[10].

وأرسل بطليموس الثاني فيلادلفوس، آرسطون - Ariston - للكشف عن سواحل البحر الأحمر، من السويس إلى المحيط الهندي، كما قام بحفر (قناة بطليموس) لتصل بين النيل والبحر الأحمر عند ميناء أرسينوى -Arsinoe- على خليج السويس، كما قام بطليموس فيلادلفوس بإنشاء عدد من الموانئ والمدن التجارية على امتداد الساحل الغربي للبحر الأحمر المقابل للجزيرة العربية؛ بهدف منافسة تجار جنوب الجزيرة العربية وكسر احتكارهم التجاري لطيوب بلاد العرب، وتجارة الشرق الأقصى، فضلا عن دور بعض تلك المدن، التي كانت بمثابة مراكز لتجميع الفيلة التي كان البطالمة يستعملونها في حروبهم ضد خصومهم السلوقيين[11].

ومن هنا نشأ اهتمام البطالمة بالجزيرة العربية، وتكثّف نشاطهم الكشفي لسواحل البحر الأحمر، من خلال إرسالهم العديد من البعثات البحرية الاستكشافية، وتأسيس عدد من المدن والموانئ على سواحل البحر الأحمر؛ ما ساعد علماء مكتبة الإسكندرية وأكاديميتها على الحصول على معارف غزيرة عن سواحل البحر الأحمر، إذ حصل إيراتوسثنيس- Eratosthenes (196 - 276 ق.م) مدير مكتبة الإسكندرية ورائد النشاط العلمي آنذاك، على معلومات قيمة وتفصيلية عن سواحل البحر الأحمر وبلاد العرب ومواردها ونشاط سكانها[12].

وقدم لنا إيراتوسثنيس، وصفًا مسهبًا عن البحر الأحمر ومعلومات لا بأس بها عن ممالك جنوب الجزيرة العربية، وقبيل نهاية القرن الثاني قبل الميلاد كتب عالم اللغة (أجاثارخيدس- Agatharchides) وصفًا للبحر الأحمر في خمسة كتب، دونها في حوالي 110ق.م، واقتبس منها كل من: ديودوروس الصقلي، وفوتيوس الكثير مما جاء في الجزئين الأول والخامس، وجاء بعدهما أرثميدوروس حوالي عام 100 ق.م، الذي كان رحالةً وجغرافيًّا، فتمكن من تصحيح كثير من المعلومات التي أوردها إيراتوسثنيس[13].

أما (سترابو - Strabo) (64 ق.م - 19م)، في مؤلفة الكبير The Geography of strabo جغرافية إسترابو، في كتابة السابع عشر، الذي خصصه لوصف مصر وإثيوبيا، فقد اعتمد في وصف مصر على مشاهدته الشخصية، ثم على إيراتوسثنيس ويودوكسوس وأرسطو وبولوبيوس

وبوزيدونيوس، وكل الذي رواه سترابو عن شمال إفريقيا منقول برمته من مؤلفات إيراتوسثنيس وأرثميدوروس وبوزيدونيوس[14].

ويعد كتاب الطواف حول البحر الأريتري The periplus of The Erythraensea[15] من أهم المصادر اليونانية والرومانية التي قدمت لنا وصفًا جغرافيًا لسواحل البحر الأحمر وإفريقيا فيما وراء باب المندب إلى حيث عرفها الناس يومئذ، وسواحل الجزيرة العربية الجنوبية، والجزء الغربي من الهند إلى آخر حدود ملبار، وقد تركز اهتمامه بالموانئ والأسواق والسلع التجارية الصادرة والواردة من وإلى تلك الموانئ والأسواق[16]، فضلًا عن معارف أخرى تتصل بالسكان وأنشطتهم.

وقد جاء وصف الساحل الإفريقي -ومن ضمنه الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر- في الفصول (1 . 18) من الكتب المذكور.

وزاد الاهتمام بالبحر الأحمر في العصر الروماني، إذ اتسعت حدود سيطرة الرومان إلى أصقاع بعيدة من العالم المعروف آنذاك، فاهتموا بجغرافية الجزيرة العربية والبحر الأحمر؛ خدمة لأهدافهم التوسعية[17]، فتوفرت لدى بليني الأكبر (Pliny the Elder) (24. 79م) معارف غزيرة وخاصة عن سواحل البحر الأحمر، غير أنها اشتملت على خلط بين الأسماء والأماكن، وعلى الرغم من أسماء القبائل والمدن والمواقع الكثيرة التي أوردها، فإنها غامضة وغير معروفة، فضلا عن الأساطير والخرافات التي وردت لديه، ولا سيما ما يتصل منها بإثيوبيا وحيواناتها[18]. وربما يرجع ذلك إلى أن بليني الأكبر جمع إلى مؤلفه الكبير (التاريخ الطبيعي) معارف متباينة، من عدد من المصادر دون فحص وتمحيص، ولم تكن لديه فكرة راسخة عن صحة المعارف التي كان يقوم بنقلها، فقد نقل عن فارو- Varo وبومبونيوس ميلا - Pomponius Mela، الذي كتب كتابه الجغرافيا في حوالي عام (43 ق.م)، كما اعتمد على العمل الذي قدمه (Juba) لـ(أغسطس قيصر) الذي كان يعد العدة لتجهيز حملة عسكرية رومانية لغزو بلاد العرب[19].

وفي حوالي عام (45)ق.م، حصل تطور تجاري كبير، عندما اكتشف هيبالوس حركة الرياح الموسمية، ووجد أن الرياح تهب مدة ستة أشهر متواصلة من الشرق إلى الغرب، وتهب مدة ستة أشهر أخرى في الاتجاه المعاكس، فتطورت التجارة البحرية منذ ذلك الوقت بين مصر والهند، وأصبح العالم اليوناني والروماني على اتصال وثيق ببلاد الهند[20]، ومع ازدياد حركة الملاحة البحرية انتعشت موانئ البحر الأحمر[21]، ومن ثم حصل الكتّاب اليونان والرومان على معارف تفصيلية عن سواحل البحر الأحمر والبلدان والقبائل القاطنة فيها.

وصف القبائل السكانية في الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر كما ورد في كتابات اليونان والرومان:

نتيجة لنشاط الملوك البطالمة -السالفي الذكر- وبخاصة في جنوب البحر الأحمر، وإرسالهم العديد من البعثات الاستكشافية، أصبح لدى علماء الإسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد معلومات واسعة عن شعوب وقبائل البحر الأحمر[22]، وخاصة الساحل الجنوبي الغربي،الذي أطلق عليه الكتاب اليونان والرومان، اسم (طرغلوديتكا -Troglodytica) أو ساكني الكهوف، وهي تسمية كان يقصد بها سكان السواحل الحبشية والصومالية.

وسار الكتاب اليونان والرومان، في وصفهم وتصنيفهم، لسكان الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر وبخاصة سواحل الحبشة والصومال، وفقًا لنمط معيشتهم والغذاء الذي يعتمدون عليه في حياتهم اليومية، والحرف التي كانوا يمارسونها، وذلك كما يأتي :

- أكلة السمك (Fish- Eaters) وهم أقوام كثيرة من البدو الرّحل . Berbers . ويطلق عليهم أحيانًا: ساكني الكهوف؛ إذ يعيشون في كهوف منتشرة على امتداد الشاطئ إلى الجنوب من مدينة بيرنيقي Berenice [23] (مدينة الهراس) على ساحل البحر الأحمر[24]، التي أسسها بطليموس الثاني فيلادلفوس (246 - 308 ق.م)[25].

● أكلة العجول وأكلة اللحوم البرية . Wild Aesh-Eaters and calf- Eaters ويقطنون إلى الوراء من أكلة السمك، ولكل قبيلة منهما رئيس، وإلى الغرب توجد مدينة مروى Meroe[26] التي أطلق عليها قمبيز ملك الفرس هذا الاسم؛ نسبة إلى أخته أو زوجته التي ماتت في ذلك الموضع[27].

● أكلة الجذور (Rhizophagi) وأهل البطحاء، وقد أطلقت عليهم هذه التسمية؛ لأنهم يجتثون الجذور من البطحاء المجاورة لهم ويدقونها بالحجارة ويجعلونها أقراصًا، ثم تترك لتجفف في الشمس لتكون طعامًا لهم[28].

● أكلة البذور (Spermophagi) ويقطنون بالقرب من أكلة الجذور، ويقتاتون بذور النباتات أو بذور الشجر، إذ يقومون بتهيئتها طعامًا لهم وفقا للطريقة ذاتها التي يقوم بها أكلة الجذور[29].

● أكلة اللحوم، إذا توغلنا نحو الداخل نجد قومًا عراة الأجساد يستعملون الأقواس وسهام القصب المصلوبة أطرافها بالنار، ويقومون برمي الحيوانات المتواجدة فوق الأشجار بسهامهم، ولديهم قطعان كثيرة من المواشي التي يأكلون لحومها، فضلا عن لحوم الحيوانات البرية الأخرى، ولكنهم إذا عادوا من الصيد خائبين فإنهم يشوون جلودًا مجففة على الجمر لتكون طعاما لهم، ويكتفون بها، ومن عاداتهم جعل فتيانهم الذين لم يبلغوا سن الرجولة بعد يتمرسون على الرماية، ومن عادات قبيلة أكلة اللحوم أن يختنون نساءهم وفقًا للعادة اليهودية[30].

● حالبوا الكلاب (Milkers of bitches)، ويبدو من تسميتهم أنهم يشربون حليب الكلاب، ويدعونهم السكان المحليين (أغري Agrii)، وهم يرسلون شعورهم ويطيلون اللحى، ويربون صنفًا من الكلاب الضخمة لصيد المواشي الهندية التي تأتي إلى بلادهم، إما هربًا من الحيوانات المفترسة أو لقلة المرعى[31].

● أكلة الفيلة (Elephant- eaters) وهم الذين يقضون وقتهم في مطاردة الفيلة وصيدها، إذ يمكثون على الشجر، فإذا وقعت أبصارهم على سرب من الفيلة وهي في طريقها نحو الغابة، فإنهم لا يهاجمونها، وإنما يقتربون منها خلسة، ويعقرون البطيئة منها في مؤخرة السرب، غير أن البعض منهم يرمونها بالسهام ويقتلونها وذلك من خلال غمسها في مرارة الأفاعي، والبعض منهم يلاحظون

الفيلة التي تتكئ (تترنح) على الشجر لتستريح، فيأتون من خلفها، فينشرون الشجرة فيقع الفيل ولا يستطيع النهوض، فيقومون بنحره ثم تقطيعه، ويطلق على هؤلاء الصيادون (نجسين- Actharti)[32].

ربما إنه كان يتم أكل الفيلة بصورة محدودة، وإنما كان يتم اصطياد الفيلة وتجميعها وبيعها في مراكز وأسواق بيع الفيلة، بدليل أن البطالمة كانوا قد أسسوا بعض المدن على الساحل الجنوبي الغربي للبحر الاحمر، كما سلف القول، بهدف اصطياد الفيلة وتجميعها، لاستعمالها في حروبهم ضد خصومهم السلوقيين، وغيرهم، إذ كان دور الفيلة في الحروب قديما، يوازي دور الدبابات في الوقت الراهن.

- أكلة الطيور (Struthophagi)، وتوجد في بلادهم طيور بحجم الغزلان لا تستطيع الطيران، ولكنها سريعة الركض كالنعامة (لعلها النعامة)، وبعضهم يقتنصونها رميًا بالسهام، بينما يتنكر البعض منهم في جلود الطيور، ويخفي الشخص منهم يده اليمنى في رقبة الجلد، ويحركها كما يحرك الطير عنقه، وباليد اليسرى ينثر حبوبًا من كيس معلق على جانبه، وهكذا يغرون الطيور للاقتراب منهم فيقتادونها حتى تسقط في حفر ثم يأتون عليها فيضربونها بالعصي، وتستعمل الجلود ملابس وأغطية للفراش، والإثيوبيون الذين يدعون (Sime) يحاربون هؤلاء الناس، ويستعملون قرون الوعل سلاحا لهم[33].

- أكلة الجراد (Locust- eaters) ويقطنون إلى جوار أكلة الطيور، وهم قوم أشد من غيرهم سوادًا، وأقصر قامة، ولا يتعمرون طويلا، فهم لا يتعدون سن الأربعين، وطعامهم من الجراد الذي تحمله إلى بلادهم -بكثرة- الرياح الغربية والجنوبية الغربية عندما يشتد هبوبها في فصل الربيع، ويصطادون الجراد، من خلال حفرهم أخاديد في الارض، ويقذفون إلى داخلها مواد تبعث دخانًا كثيفًا، وعندما يطير الجراد مخترقًا ذلك الدخان يغمى عليه، فيسقط ثم يقومون بجمعه ويسحقونه مع الملح ويجعلونه أقراصًا يقتاتونها[34].

● أكلة السمك وأكلة اللحوم: يذكر سترابو، أن هؤلاء القوم،كانوا يعيشون في البلاد الواقعة على مضيق (Deire) (مضيق باب المندب)، كما كان يعرف لدى اليونان والرومان، الذي توجد به ست جزائر متجاورة لا يفصل بينها سوى ممرات ضيقة جدًا، وهي تملأ الشقة بين القارتين الأسيوية والإفريقية، ومن خلال هذه الممرات يتم نقل السلع بين القارتين على المعابر، وهذا المضيق قرب الحبشة ناشئ عن رأس ناتئ من الأرض، يدعى (ديره . Deire)، وفيه بلدة بهذا الاسم يقطنها أكلة السمك وأكلة اللحوم، ويقوم أكلة السمك بجمع الأسماك حينما ينحسر الموج أثناء حركة الجزر، ويضعون السمك على الصخور؛ ليجف في الشمس، وعندما يشوى السمك بصورة جيدة، يقومون برفس اللحم بأقدامهم، بعد نزع العظام منه، إذ يضعون العظام جانبا بصورة أكوام، ثم يجعلون من اللحم أقراصًا فتوضع في الشمس مرة أخرى، فتغدو طعامًا لهم، وفي الأيام الشديدة، التي يتعذر فيها الحصول على السمك، فإنهم يلجأون إلى العظام التي سبق تكويمها جانبا، فيسحقونها، ويجعلون منها أقراصًا ليقتاتونها[35].

● أكلة السلاحف أو السلاحفيون (Turtle- eaters/Chelonophagi)، ويسكنون تحت سقوف تصنع من أصداف السلاحف، وهي كبيرة جدًا، إذ تستعمل كالقوارب؛ نظرا لحجمها الكبير، وهم يقطنون الإقليم ذاته، أي في البلاد المطلة على مضيق باب المندب، في الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر من بلاد الحبشة.

ومما ينبغي الإشارة إليه، أنه لم يعد بوسعنا تحديد مواقع هذه القبائل في الوقت الراهن، فلم تعد محتفظة بأسمائها ومواقعها تلك التي ذكرها الكتاب اليونان والرومان منذ تلك العصور حتى يومنا هذا، فبعضها كانت قبائل متنقلة، وأخرى كانت تسكن الكهوف؛ لذلك أطلق كتاب اليونان والرومان على الساحل الحبشي والصومالي، بلاد ساكني الكهوف.

هكذا سار الكتّاب اليونان والرومان، منذ أواخر الألف الأول قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، في وصفهم وتصنيفهم، للجماعات القبلية السكانية في الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر، وذلك وفقًا لأصناف الحيوانات البرية والنباتات والحشرات والأحياء البحرية التي كانوا

يعتمدون عليها بصفة أساسية في حياتهم المعيشية وغذائهم اليومي، وهو وصف أو تصنيف يبدو غريبًا وعجيبًا في نظرنا اليوم، ولكنه كان يعد أمرا طبيعيا لدى الإنسان القديم؛ وفقًا لظروف الحياة القاسية في العصور القديمة.

بعض العادات والتقاليد التي وردت في كتابات اليونان والرومان عن سكان الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر:

دأب الكتاب اليونان ثم الرومان من بعدهم على تسمية الساحل الغربي للبحر الأحمر بـ(Troglodytica طرغلوديتيكا) أو ساكني الكهوف[36]، وذكروا أن سكان ذلك الساحل كانوا بدوا في نمط معيشتهم، وأن كل قبيلة من سكان الساحل كان يحكمها طغاة منها، وأن نساءهم مشاعة بينهم، باستثناء نساء الطغاة وأولادهم، وإنه كان يعاقب كل من يفسد زوجة أحد الطغاة بغرامة مقدارها خروف [37].

وكانت نساؤهم تكتحل بعناية، ويعلقن الأصداف حول أعناقهن، وذلك دفعًا للسحر عن أنفسهن، أما إذا تشاجر القوم على المراعي، وغير ذلك، فإنهم يتعاركون أولًا بأيديهم، ثم يستعملون الحجارة، وإذا تم جرح أحدهم أو جماعة منهم، فإنهم يستعملون السهام والخناجر، وتتدخل النساء لوضع حد لمثل هذا النزاع، وذلك بأن يقفن بين المتشاجرين ويتضرعن إليهم بالكف عن الشجار [38].

أما طعامهم، فيتألف من اللحم والعظام مسحوقة معا، ويتم لفها في قطع من الجلد وتشوى في النار أو يهيئها الطباخون بطرائق أخرى متعددة، ويدعى الطباخون (النجسين Unclean)، وبذلك فهم لا يأكلون اللحم وحده، بل العظام والجلود أيضا، ويدهنون أجسادهم بمزيج من الحليب والدم، وأما شرابهم، فيستخلص شراب العامة من نبات (العجرم Buckthorn)، في حين يتألف شراب الطغاة من العسل المخمر في الماء، ويستخلصون العسل من أحد أصناف الأزهار [39].

كما أنهم يعيشون عراة، أو يرتدون قطعة من الجلد فقط، ويقطعون غرلة الذكور، ومنهم من يختتن كالمصريين والأحباش، ويحملون العصي المثبتة بها مسامير من الحديد، ويستعملون الرماح والتروس المجلدة، وآخرون يستعملون القسي والرماح، وفريق من أهل طرغلوديتيكا (ساحلي الحبشة والصومال) حينما يدفنون موتاهم يلفون جسد الميت بأغصان نبات العجرم، من عنقه حتى الساقين، ويرجمونه بالحجارة، وهم يضحكون ويمرحون، حتى يتغطى وجهه بالحجارة، ثم يضعون عليه قرن كبش ويغادرونه[40].

ويحبون السفر ليلا، ويعلقون بأعناق الذكور من الماشية أجراسا، لتصدر رنينًا يبعد عنهم الوحوش الضارية التي يستعملون لصدها أيضًا المشاعل النارية والسهام، ولكي يحافظوا على قطعان الماشية فإنهم يقومون بحراستها ليلا، ويشعلون النيران ويغنون حولها بالأغاني الغريبة[41].

اشتغال سكان الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر بالتجارة، من خلال كتابات اليونان والرومان:

يعد كتاب، الطواف حول البحر الإريتري، خير مصدر زودنا بإنتاج القارة الإفريقية وحاصلات أرضها، وحيواناتها وسلعها المتباينة، التي كان يحتاجها العالم القديم، والتي اشتغل بها سكان إفريقيا، وبخاصة سكان الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر.

فقد جاء في الفصلين (6 . 7) من الكتاب ذاته ما يأتي:

"ويتم استيراد الملابس المصنوعة في مصر إلى هذه الأماكن، وهي من الحبال والأحزمة والمعاطف ذات النوعية البسيطة والمصبوغة بالألوان، والعبايات، والكثير من الأشياء الزجاجية والنحاس الأصفر الذي يستعمل للزينة، ويقطع إلى قطع صغيرة تستعمل كبديل للعملات النقدية، وصفائح النحاس الرقيقة التي تستعمل آنية للطهي أو المعمولة على شكل قلائد وأساور للنساء، والحديد المصنوع على شكل رماح تستعمل ضد الفيلة وحيوانات برية أخرى وفي الحروب، فضلا عن ذلك يتم استيراد الثيران الصغيرة (العجول) والسيوف والفؤوس وكؤوس الشراب المصنوعة

من النحاس ذات الشكل المستدير والكبير، وعملات نقدية صغيرة للقادمين إلى السوق، والخمر من إيطاليا ولاودكيا، وزيت الزيتون بكميات غير كبيرة، وللملك يتم استيراد الذهب والأطباق الفضية المصنوعة وفقًا للشكل المعروف في تلك البلاد، ويتم استيراد المعاطف العسكرية، المصنوعة من الجلد، وملابس أخرى خفيفة ليست ذات قيمة كبيرة، وعبر هذا البحر (المحيط الهندي) يتم استيراد الحديد الهندي والفولاذ وقماش القطن الهندي ومعاطف من الجلد والقماش الملون، من إقليم -Ariac - (من أصقاع بلاد الهند)، ومن هذه الأماكن، يتم تصدير العاج والأصداف وقرون الكركدن (وحيد القرن)"[42].

ويذكر لنا صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري، أنه وعلى الساحل ذاته توجد هناك أسواق مدن، تعرف بأسماء الموانئ البعيدة، توجد بها ممرات بحرية جيدة، بحيث يمكن للسفن أن ترسو بها، أولاها . Avalites (لعلها زيلع)[43] التي يمكن الوصول إليها بالقوارب، ويتم استيراد الزجاج الخفيف إلى هذه الأرضي مع عصير العنب والملابس والشعير والخمر والقصدير، ومن هذه الأراضي يتم تصدير القليل من العاج والأصداف وقليل من المر، بواسطة البربر (البدو) ذاتهم، الذين يحملون هذه الأشياء في القوارب ويعبرون بها إلى -أوكيليس . Ocelis[44] (عقيليا على باب المندب)، وموزع ميناء المخا في الجهة المقابلة[45]، أي على الساحل الغربي لليمن، في جنوب شبه الجزيرة العربية، كما كانت سلع إفريقيا وبضائعها ترد إلى هذا الميناء (المخا) من زيلع (Avalites)[46].

وكانت المدن والموانئ الواقعة على الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر، وفي شرق إفريقيا مثل: عدول . Adulis . وزيلع . Avalites . وملاو (بربرة) Malao تستقبل السلع والبضائع التجارية، وتصدر المر والقرفة والرقيق والعاج والفيلة والكركدن (وحيد القرن) والأصداف التي كان السكان من آكلي السمك وغيرهم يشتغلون بها[47]، فضلا عن المدن التي أقامها البطالمة على ذات الساحل قبالة باب المندب وهي: بيرنيقي على الرقبة، وأرسينوى، التي ذكرها بليني[48] ،التي كانت تستقبل السلع القادمة من داخل القارة الإفريقية، إذ كان سكان إفريقيا، ومن ضمنهم سكان الساحل

الجنوبي الغربي، يشتغلون بتجميع الحيوانات، والسلع الإفريقية السالفة الذكر إلى الموانئ والمدن الساحلية، ويقومون بنقلها بواسطة القوارب عبر مضيق باب المندب، إلى موانئ ساحل جنوب شبه الجزيرة العربية، أي إلى ميناء المخا، وميناء أكيليس (عقيليا) على مضيق باب المندب.

الخاتمة والنتائج:

من خلال دراستنا لموضوع وصف، القبائل السكانية في الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر، كما ورد في كتابات اليونان والرومان، خلال المدة (250ق.م - 300م)، يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

1- لم تكن الجماعات السكانية (المستقرة والمتنقلة) في الساحل الغربي للبحر الأحمر ومن ضمنه الساحل الجنوبي الغربي، تحمل أسماءً محددة بعينها تطلق عليها، وذلك ما جعل كتّاب اليونان والرومان، يصنفون تلك الجماعات وفقًا لأنواع الحيوانات والنباتات التي كانوا يعتمدون عليها في غذائهم ومعيشتهم بصورة رئيسة، وقد أطلق اليونان والرومان على الساحل الغربي للبحر الأحمر، ساحل طرغلوديتيكا، أو ساكني الكهوف.

2- كان الوصف والتصنيف الأبرز الذي وجدناه في كتابات اليونان والرومان عن الجماعات السكانية، في الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر يتلخص في: أكلة السمك، أكلة العجول واللحوم البرية، أكلة البذور، أكلة الجذور، أكلة اللحوم، حالبي الكلاب، أكلة الفيلة، أكلة الطيور، أكلة الجراد، أكلة السمك واللحوم، وأخيرًا أكلة السلاحف، وهم لا يأكلونها فحسب، بل ويعيشون تحت سقوف أصدافها.

3- كان للجماعات القبلية في الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر بعض العادات والتقاليد التي وردت في كتابات اليونان والرومان مثل: تدخل النساء لفض العراك الذي قد ينشب بين الرجال لسبب أو لآخر، وكانت نساؤهم مشاعة بينهم باستثناء نساء الطغاة (الأمراء)، وكان يعاقب من يفسد زوجة أحد الطغاة بغرامة قدرها خروف، وكانوا يحبون السفر مع قطعان

مواشيهم ليلًا مضرمين النيران مرددين الأغاني، وكانوا يعيشون عراة الأجساد أو يرتدون قطعًا من الجلد، وكانوا يختتنون، أما أمواتهم، فكانوا يغطونهم بأغصان نبات العجرم، ثم يرجمون الميت بالحجارة حتى يتغطى تمامًا، فيضعون عليه قرن كبش ثم يغادرونه.

4- اشتغل سكان الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر برعي قطعان الماشية، وتجميع حيوانات القارة الإفريقية وبيعها، وخاصة الفيلة التي كان يتم اصطيادها و تجميعها إلى الموانئ والمراكز الساحلية، إذ كان يستعملها البطالمة في مصر في حروبهم ضد خصومهم السلوقيين وغيرهم، كما اشتغل سكان الساحل ذاته بالتجارة مع الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ولا سيما مع العرب في جنوب الجزيرة، وذلك بمنتجات القارة الإفريقية مثل المُر، القرفة، الرقيق، العاج، القرود، وحيد القرن، والأصداف، وريش النعام، وغير ذلك من حيوانات ومنتجات القارة الإفريقية.

الهوامش والإحالات:

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، 1970: 5. سيد أحمد علي الناصري، الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، جامعة الرياض، د.ط، 1979: 405.

(2) Strabo, The geography of Strabo, by, Horace Leonard gones, London, 1966, VII, B. XVI, 4.ch. 27. Arrian, Anabasis, VII: In the Greek Historians, edited by, francis R.B. Godolphin Random House, New york, 1942. P.610. ch. 19.

(3) Arrian, Anabasis, VII, in: The Greek Historians P.610.ch. 19.

(4) الناصري، الصراع على البحر الأحمر: 406.

(5) جواد علي، المفصل، 22/2.

(6) الناصري، الصراع على البحر الأحمر: 407. محمد أحمد حسين، مكتبة الإسكندرية في العالم القديم، مطبعة الاعتماد، القاهرة، د.ط، 1943: 12.

(7) محمد أحمد حسين، مكتبة الإسكندرية: 12. 15.

(8) نفسه: 16. 284. جواد علي، المفصل: 23/2.

(9) محمد أحمد حسين، مكتبة الإسكندرية: 20.

(10) أحمد صالح محمد العبادي، اليمن في المصادر القديمة اليونانية والرومانية، 485ق.م ـ 100م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، د.ط، 2004: 115.

(11) جواد علي، المفصل: 23/2. العبادي، اليمن في المصادر القديمة: 114.

(12) أوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمه وعلق عليه: موسى على الغول، الأردن، د.ط، 1990: 88.

(13) أوليري، جزيرة العرب: 88.

(14) وهيب كامل (المترجم)، إسترابون في مصر، القرن الأول قبل الميلاد، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، 1953: 22 . 23.

(15) هو كتاب صغير لمؤلف يوناني مجهول، تباينت آراء المؤرخين حول المدة التي تم فيها تدوين ذلك الكتاب، إذ يرى فريق منهم أنه تم تأليفه في منتصف القرن الأول الميلادي، ويرى فريق آخر أن تأليفه كان في النصف الثاني من القرن الأول ذاته وفي الثمانينات منه على وجه التحديد، في حين يرى فريق ثالث أن تأليف الكتاب يرجع إلى القرن الثاني أو الثالث، وذلك استنادا إلى زمن حكم الملوك الذين ذكرهم الكتاب: العبادي، اليمن في المصادر القديمة اليونانية والرومانية: 72-74. ويبدو أن مؤلفه تاجر يوناني، إذ تضمن الكتيب معارف مهمة عن الموانئ والأسواق والمدن والسلع التجارية الواردة والصادرة من وإلى تلك الموانئ والمدن والأسواق، وكذا الأخطار التي تواجه السفن التجارية فضلا عن معارف أخرى تفيد التجار والملاحين في البحر الأحمر وسواحل البحر العربي وسواحل الهند الغربية: جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، ترجمه وزارد عليه: السيد يعقوب بكر، راجعه وقدم له: يحيى الخشاب، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، د.ت: 54. العبادي، اليمن في المصادر اليونانية والرومانية: 75 -70.

(16) نقولا زيادة، دليل البحر الإريتري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الرياض، د.ط، 1979: 2036.

(17) العبادي، اليمن في المصادر القديمة: 195.

(18) شريف محمود شريف، تطور الفكر الجغرافي، الجزء الأول العصور القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 1969: 388. 390.

(19) شريف محمود شريف، تطور الفكر الجغرافي: 385 - 386.

(20) أوليري، دلاسي، جزيرة العرب قبل البعثة: 93.

(21) مهيوب غالب أحمد كليب، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري لجنوب شبه الجزيرة العربية، دار جامعة ذمار للطباعة والنشر، اليمن، د.ط، 2011: 75.

(22) الناصري، الصراع على البحر الأحمر: 419.

(23) The Periplus of the Erythraean sea, BY, SCHOFF,1912. Ch.2. Strabo, the geography, of Strabo, XVI. Ch.7.

(24) وهيب كامل، إسترابون في مصر: 133.

(25) وهيب كامل، إسترابون في مصر: 65 هامش (5)، (3). الناصري، الصراع على البحر الأحمر: 415.

(26) The periplus, Ch.2.

(27) وهيب كامل، إسترابون في مصر: 51 . 52.

(28) Strabo,XVI.Ch.9

(29) Strabo,th geography ,XVI.Ch.9.. 28 Strabo,XVI.Ch.9.

(30) Strabo ,Ch.9

(31) Strabo, Ch. 9..

(32) Strabo, XVI.Ch.10.

(33) Strabo, XVI.Ch.10.

(34) (32)Strabo, XVI.Ch.11..33. Strabo, XVI. Ch.12.

(35) Strabo, XVI. Ch.12.

(36) Strabo, XVI. Ch.4. pliny, Natural History, by, H,Rackham, M,A, 36 Wiliamheineann, ltd, Vol, II, Book, VI, london,1969.Ch. XXXII.

(37) Strabo, XVI. Ch.17.

(38) Strabo, XVI, Ch.17.

(39) Strabo, XVI, Ch.17.

(40) Strabo, XVI. Ch.17.

(41) Strabo, XVI. Ch.17.

(42) Strabo, XVI, Ch.6.

(43) زيادة، نقولا، دليل البحر الإريتري: 271.

(44) أوكيلس Ocelis وردت لدى أرتميدوروس Acila على أنها الرأس الناتئ من جنوب بلاد العرب إزاء مضيق ديرة (مضيق باب المندب وهي ذاتها عقليا (Ocilia) التي ذكرها بليني على أنها ميناء القتبانيين الذي كانت تأتي إليه السفن من الساحل الإفريقي، فهي ميناء مملكة قتبان على مضيق باب المندب: العبادي؛ اليمن في المصادر القديمة: 239.

(45) (43)The periplus ,Ch.7.

(46) (44)The periplus ,Ch.24.

(47) The periplus, Ch.4,8.

(48) Pliny, Natural history, B. VI. XXXII.